

253737 - تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء

السؤال

النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل الخلق والأنبياء ، ولكن هل كان أفضل منهم على الإطلاق ، أم في بعض الجوانب ؟ حيث قرأت ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في صبر وجمال يوسف عليه السلام وصلاة وصيام النبي داود عليه السلام ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء ، بل أفضل الأولين والآخرين ، وسيد ولد آدم أجمعين . روى مسلم (2278) عن أبي هريرة ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ).

وروى الترمذي (3615) وحسنه ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَيَبِيدِي لِيَاءِ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمِنْدِ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِيَائِي ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ) وصححه الألباني في " صحيح الترمذي " .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (فَضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَتُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ) رواه مسلم (523) .

وقد ثبتت له صلى الله عليه وسلم فضائل فوق هذه الست : كالشفاعة العظمى ، وكونه أول من يفتح له باب الجنة ، وكونه أكثر الأنبياء تابعا، وأن أمته ثلثا أهل الجنة ، وأنه صاحب لواء الحمد يوم القيامة ، وصاحب الحوض ، وصاحب الوسيلة وهي درجة في الجنة لا تكون إلا له صلى الله عليه وسلم ، وهو إمام النبيين وخطيبهم يوم القيامة ، إلى غير ذلك . قال الملا علي القاري : " فبعض الأحاديث ، وإن دل بمنطوقه على أنه - صلى الله عليه وسلم - مخصوص من عند الله ، تعالى بفضائل معدودة، لكن لا يدل مفهومه على حصر فضائله فيها ، فإن فضائله غير منحصرة " انتهى من "مرقاة المفاتيح" (9/3676).

وقال السيوطي رحمه الله: " قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرَ : وَمَفْهُومُهُ أَنَّهُ لَمْ يُخَصَّ بِغَيْرِ الْخَمْسِ .

لَكِنْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ : فَضِّلَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ ، وَوَرَدَتْ أَحَادِيثٌ أُخْرَى بِخَصَائِصٍ أُخْرَى ، وَطَرِيقَ الْجَمْعِ أَنْ يُقَالَ : لَعَلَّهُ إِطْلَعَ أَوْ لَا عَلَى بَعْضِ مَا اخْتَصَّ بِهِ ، ثُمَّ إِطْلَعَ عَلَى الْبَاقِي .

وَمَنْ لَا يَرَى مَفْهُومَ الْعَدَدِ حُجَّةً ، يَدْفَعُ هَذَا الْإِشْكَالَ مِنْ أَصْلِهِ .

ثُمَّ تَتَّبَعَ الْحَافِظُ مِنَ الْأَحَادِيثِ خِصَالًا ، فَبَلَغَتْ إِثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَصْلَةً ، ثُمَّ قَالَ : وَيُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ أَمَعَنَ التَّتَبُّعَ . وَنُقِلَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ النَّبَسَابُورِيِّ أَنَّهُ قَالَ ، فِي كِتَابِ شَرْفِ الْمُصْطَفَى : إِنَّ الْخَصَائِصَ الَّتِي فَضِّلَ بِهَا النَّبِيُّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ سِتُّونَ خَصْلَةً .

قُلْتُ : وَقَدْ دَعَانِي ذَلِكَ لَمَّا أَلْفَتُ التَّعْلِيقَ الَّذِي عَلَى الْبُخَارِيِّ فِي سَنَةِ بَضْعِ وَسَبْعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ ، إِلَى تَتَبُّعِهَا ، فَوَجَدْتُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا كَثِيرًا فِي الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ وَشُرُوحِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَالتَّصَوُّفِ ، فَأَفْرَدْتُهَا فِي مُؤَلَّفِ سَمِيئَتِهِ أَنْمُودَجِ اللَّيْبِ فِي خَصَائِصِ الْحَبِيبِ وَقَسَمْتُهَا قِسْمَيْنِ مَا خُصَّ بِهِ عَنْ الْأَنْبِيَاءِ وَمَا خُصَّ بِهِ عَنِ الْأُمَّةِ وَزَادَتْ عِدَّةُ الْقِسْمَيْنِ عَلَى أَلْفِ خَمِيسَةَ" انتهى من "حاشية السيوطي على النسائي" (1/210).

ولا خلاف في أنه صلى الله عليه وسلم أفضل البشر.

قال القاضي عياض - رحمه الله - : " لا خلاف أنه أكرم البشر، وسيد ولد آدم ، وأفضل الناس منزلة عند الله ، وأعلاهم درجة ، وأقربهم زلفى ، واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً" انتهى من "الشفاء" (1/165).

وهذا لا ينفي ثبوت الفضائل لغيره من الأنبياء ، ككون آدم عليه السلام خلقه الله بيده ، وأسجد له ملائكته ، ونفخ فيه من رحه ، وإبراهيم خليل الله ، وموسى كليم الله ، وعيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، ويوسف أعطي شطر الحسن ، وداود أعطي الزبور، وألين له الحديد، وصيامه أفضل الصيام.

لكن لم يثبت لواحد منهم أنه سيد ولد آدم ، كما ثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم، ولذلك هو أفضلهم وإمامهم يوم القيامة، وقد شارك بعضهم في فضائله كمشاركة إبراهيم في الخلعة وموسى في التكليم.

والحاصل :

أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء، وأن من الأنبياء من فضل بأشياء خاصة لم تكن لنبينا صلى الله عليه وسلم ، وهذا لا ينفي أن يكون أفضلهم ، فالترتيب اصطفاً واختياراً من الله تعالى أولاً، ثم إنه صلى الله عليه وسلم قد أوتي من الفضائل الخاصة ما لم يؤتته أحد غيره ، كما تقدم.

وننبه إلى أننا نهينا عن التخيير والترتيب بين الأنبياء، إذا كان التفضيل يوهم نقص المفضول، أو كان التفضيل يفضي إلى خصومة ونزاع.

وقد سبق بيان ذلك مفصلاً، فانظري: الأسئلة: : (83417) ، (126168) ، (217450) ، (228450) .

والله أعلم.